



مركز دراسات الوحدة العربية

العلم والنظرة العربية إلى العالم

التجربة العربية والتأسيس العلمي للنهضة

الدكتور سمير أبو زيد

الفهرسة أثناء النشر - إعداد مركز دراسات الوحدة العربية

أبو زيد، سمير

العلم والنظرة العربية إلى العالم: التجربة العربية والتأسيس العلمي للنهضة /
سمير أبو زيد.
٣٩٩ ص.

ببليوغرافية: ص ٣٧٩ - ٣٨٥.

يشتمل على فهرس.

ISBN 978-9953-82-278-5

١. النهضة العربية. ٢. العلوم عند العرب. ٣. الاستقراء. ٤. العلوم - تاريخ.

أ. العنوان.

509

العنوان بالإنكليزية

**Science and the Arab View of the World:
The Arab Experience and the Scientific Foundation
of the Renaissance (al- Nahdah)**
by Samir Abu Zayd

«الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة
عن اتجاهات يتبناها مركز دراسات الوحدة العربية»

مركز دراسات الوحدة العربية

بناية «بيت النهضة»، شارع البصرة، ص. ب: ٦٠٠١ - ١١٣
الحمراء - بيروت ٢٤٠٧ ٢٠٣٤ - لبنان
تلفون: ٧٥٠٠٨٤ - ٧٥٠٠٨٥ - ٧٥٠٠٨٦ - ٧٥٠٠٨٧ (٩٦١١+)

برقياً: «مرعبي» - بيروت

فاكس: ٧٥٠٠٨٨ (٩٦١١+)

e-mail: info@caus.org.lb

Web Site: <http://www.caus.org.lb>

حقوق الطبع والنشر والتوزيع محفوظة للمركز

الطبعة الأولى

بيروت، تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٩

المحتويات

| | |
|----|---|
| ٩ | تصدير |
| ١٣ | خلاصة الكتاب |
| ٤٣ | مقدمة |
| ٤٤ | أولاً : مفهوم التأسيس العلمي للنهضة |
| ٤٧ | ثانياً : مشكلة مفهوم النظرة إلى العالم |
| ٤٩ | ثالثاً : مضمون النظرة العربية إلى العالم |
| ٥٣ | رابعاً : النظرة العربية ، والنظرة الإسلامية |
| ٥٥ | خامساً : تاريخ العلم ، والنظرة إلى العالم |
| ٥٦ | سادساً : عبد القاهر الجرجاني |
| ٦٠ | سابعاً : تقسيم العمل |
| ٦٤ | ثامناً : اعتبارات منهجية |

القسم الأول

النظرة العربية إلى العالم

| | |
|----|--|
| ٧٣ | الفصل الأول : مفهوم النظرة إلى العالم |
| ٧٤ | أولاً : مفهوم النظرة إلى العالم في فكر الحدائث |
| ٨١ | ثانياً : نشأة مفهوم النظرة إلى العالم وصوره المختلفة |

| | |
|-----|--|
| ٨٨ | ثالثاً : أثر النظرة إلى العالم في تعامل المجتمع والفرد مع العالم ... |
| ٩٣ | رابعاً : عناصر النظرة إلى العالم |
| ٩٦ | خامساً : مشكلة الاتساق في النظرة إلى العالم |
| ١٠٧ | الفصل الثاني : البنية العامة للنظرة العربية إلى العالم |
| ١٠٨ | أولاً : مصدر وطبيعة النظرة العربية إلى العالم |
| ١١٢ | ثانياً : العناصر الأساسية للنظرة العربية إلى العالم |
| ١٢١ | الفصل الثالث : الجانب المعرفي في النظرة العربية إلى العالم |
| ١٢٤ | أولاً : عناصر النظرة المعرفية العربية إلى العالم |
| ١٣١ | ثانياً : النظرة المعرفية العربية إلى العالم والعلم العربي |

القسم الثاني

النظرة إلى العالم والمنهج العلمي

| | |
|-----|---|
| ١٥١ | الفصل الرابع : تاريخية العلم في ضوء مفهوم النظرة إلى العالم |
| ١٥٣ | أولاً : المعاني المتعددة لمفهوم الاستقراء |
| ١٥٤ | ثانياً : الاستقراء والنظرة اليونانية إلى العالم |
| ١٥٩ | ثالثاً : الاستقراء والنظرة الإسلامية القديمة إلى العالم |
| ١٦٨ | رابعاً : الاستقراء والنظرة الحداثية إلى العالم |
| ١٧٣ | خامساً : العلم باعتباره مفهوماً تطورياً |
| ١٧٧ | الفصل الخامس : محاولات شبه معاصرة من التراث |
| ١٧٩ | أولاً : محاولة ابن رشد |
| ١٨٦ | ثانياً : محاولة ابن خلدون |
| ١٩١ | ثالثاً : محاولة عبد القاهر الجرجاني |

| | |
|--------------|--|
| الفصل السادس | : الاستبعاد المتبادل لكل من النظرة العربية |
| ١٩٧ | والنظرة العلمية الحديثة إلى العالم |
| ١٩٨ | أولاً : التناقض بين النظرة العربية والنظرة العلمية الحديثة |
| ٢٠٤ | ثانياً : الأثر النفسي لهذا التناقض في الفرد العربي |
| ٢٠٦ | ثالثاً : سمات الرفض العربي للعلم الحديث |

القسم الثالث

النظرة العربية والنظرة العلمية المعاصرة إلى العالم

| | |
|--------------|--|
| الفصل السابع | : نموذج عبد القاهر الجرجاني |
| ٢١٧ | |
| ٢١٩ | أولاً : البنية المنهجية عند عبد القاهر |
| ٢٢٤ | ثانياً : نظرية النظم باعتبارها علماً من العلوم الإنسانية |
| ٢٤٧ | ثالثاً : الاتساق في منهج عبد القاهر |

الفصل الثامن : المحاولات الحديثة والمعاصرة للتأسيس العلمي

| | |
|-----|--|
| ٢٥١ | في الفكر العربي |
| ٢٥٣ | أولاً : مراحل فكر النهضة العربي الحديث |
| ٢٥٨ | ثانياً : محاولات المرحلة الحديثة |
| ٢٦٤ | ثالثاً : محاولات المرحلة النقدية |
| ٢٨٤ | رابعاً : فشل المحاولات الحديثة في التأسيس العلمي |

الفصل التاسع : النظرة العلمية المعاصرة والظهور التدريجي

| | |
|-----|--|
| ٢٨٧ | للنموذج الجديد |
| ٢٨٩ | أولاً : التحول إلى النظرة الاحتمية للعالم |
| ٢٩٩ | ثانياً : العناصر الأساسية للتصورات العلمية الجديدة |

القسم الرابع الاتساق والتأسيس العلمي للنهضة العربية

| | |
|-----|--|
| ٣١١ | الفصل العاشر : التأسيس العلمي والاتساق في عصر النهضة الأوروبية . |
| ٣١٢ | أولاً : المحاولات الأولى للتأسيس العلمي |
| ٣٢٠ | ثانياً : التأسيس والاتساق في عصر النهضة وبدايات الحداثة ... |
| ٣٢٧ | ثالثاً : شروط التأسيس والاتساق في العلم الأوروبي الحديث .. |
| ٣٣٥ | الفصل الحادي عشر : شروط الاتساق والتأسيس في النظرة العربية |
| ٣٣٥ | أولاً : الاتساق بين النظرة العربية والعلم |
| ٣٤٢ | ثانياً : شروط التأسيس العلمي |
| ٣٥٩ | الفصل الثاني عشر : التأسيس والعلوم الطبيعية والإنسانية |
| ٣٦١ | أولاً : التأسيس والعلوم الطبيعية |
| ٣٦٦ | ثانياً : التأسيس والعلوم الإنسانية |
| ٣٧١ | خاتمة |
| ٣٧٩ | المراجع |
| ٣٨٧ | فهرس |

تصدير

هل هناك حقاً نظرة عربية إلى العالم؟ إذا اعتبرنا أن هناك ما يمكن أن نسميه «الفكر العربي» والمجتمعات العربية، كما هي الحال في ما يخص الفكر الأوروبي والمجتمعات الأوروبية، مثلاً، ولم يتحلل أو ينقرض هذا الفكر بعد؛ فالإجابة هي نعم، هناك ما يمكن أن نسميه «النظرة العربية إلى العالم». وهذه الإجابة تركز على تصور بديهي، هو أن كل إنسان، وكل مجتمع، يمتلك نظرة إلى العالم؛ ووجود هذه النظرة، وغالباً بشكل غير واعٍ، هو الذي يبرر افتراضنا وحدة سلوك وتصرفات الأفراد والمجتمعات.

والفرد العربي، والمجتمعات العربية، مثلها مثل أي فرد أو مجتمع آخر، يمتلكان وجهة نظر تجاه العالم، تقع بشكل طبيعي على مستوى اللاشعور، وتؤدي إلى نوع من الوحدة في السلوك والتصرف سواء على المستوى الفردي أو المستوى الجماعي. ووجود مثل هذه النظرة أمر بديهي؛ إما أن تتسم هذه بمستوى معين من العقلانية أو اللاعقلانية، أو أن تكون على درجة معينة من البساطة أو التعقيد، أو أن تكون مرتكزة على أسس دينية أو دنيوية؛ فهذه كلها أمور مختلفة تماماً.

هذا الاستخدام لمصطلح النظرة إلى العالم غير معتاد، وهذا له سببان:

الأول هو طبيعة المصطلحات ذاتها، فكل مصطلح يكون محملاً باستخداماته الشائعة، والاستخدام الشائع لمصطلح النظرة إلى العالم هو الاستخدام الحضاري، فحينما يستخدم هذا المصطلح يستدعي إلى الذهن مباشرة نظرة فلسفية حضارية معينة إلى العالم؛

والثاني، هو اعتيادنا على استخدام مثل هذا المصطلح في إطار الموضوعات الثقافية والاجتماعية، وربما الدينية. ولأننا هنا نستخدمه في إطار قضية العلم، فهو يبدو استخداماً غير معتاد.

ولكننا إذا نظرنا إلى هذا المصطلح بشكل محايد، خالياً من حملته المترسبة في أذهاننا، سنجد أننا يمكننا استخدامه في موضوعات عديدة شديدة التنوع؛ وهو أمر سنوضحه تفصيلاً في هذا العمل. فمن ناحية، يرتبط مفهوم النظرة إلى العالم بالمجتمع الذي تنشأ فيه هذه النظرة، فهي نظرة «مجتمع معين» إلى العالم. ومن ناحية أخرى، ليس العلم في نهاية الأمر سوى نظرة إلى العالم؛ فإذا أردنا أن نطرح قضية تحول المجتمع، أي مجتمع، إلى حالة المجتمع العلمي، أي تأسيس العلم في المجتمع، فيكون من الأمور الضرورية ألا يوجد تناقض بين هاتين النظرتين، وهذا أمر بديهي ويثبت المنطق البسيط.

فإذا كان هناك اختلاف بين النظرتين، أصبح من اللازم أن يحدث تغيير في إحدى هاتين النظرتين، أو كلاهما، حتى ينتفي التناقض ويتحقق الاتساق بينهما. فاستخدامنا لمفهوم النظرة العربية ليس بالمعنى الحضاري القومي، وإنما بالمعنى المجتمعي. وفي هذا المعنى يكون لكل مجتمع نظرة إلى العالم، وتكون نظرتة إلى العالم هي المحدد النهائي لما يمكن أن يتأسس في المجتمع، ويتحقق في أرض الواقع، وما لا يمكن أن يتأسس أو يتحقق فيه.

بهذا المعنى يكون لهذه القضية شقان، العلم، ونظرة المجتمع إلى العالم. ولذلك تحتاج معالجة هذه القضية إلى صياغة ماهية العلم الذي نأمل في تأسيسه في المجتمع^(١)، من جانب؛ وإلى صياغة ماهية النظرة إلى العالم التي يمتلكها المجتمع، وإنشاء علاقة هذه النظرة بالعلم، من جانب آخر.

وعملية التأسيس العلمي ليست قضية خاصة بالمجتمعات العربية فقط، وإنما هي قضية إنسانية عامة، وتمثل مرحلة أساسية من مراحل التطور في أي حضارة.

(١) سبق لنا معالجة هذا الجانب حيث عرضنا بشكل تفصيلي ما وصل إليه الفكر العلمي في تصوراته المعاصرة. انظر: سمير أبو زيد، العلم وشروط النهضة: التصورات العلمية الجديدة والتأسيس العلمي للنهضة العربية (القاهرة: مكتبة مدبولي، ٢٠٠٨)، الباب الأول، ص ٢٧ - ٢٢١. انظر أيضاً الفصل التاسع من هذا الكتاب. والوضع الحالي هو أن البشرية فيما يخص مفهومها للعلم تمر بمرحلة انتقالية بين ما يمكن أن نطلق عليه العلم الكلاسيكي وهو المعتمد على النموذج الحتمي الميكانيكي والمرحلة العلمية المستقبلية الجديدة التي لم تكتمل بعد لأن النموذج الجديد للطبيعة لم يتبلور بعد. لذلك لا نسمي المرحلة الحالية «العلم الجديد» رغم أنه مصطلح مستخدم في بعض الأدبيات، ولكننا نفضل أن نطلق عليها اسم التصورات العلمية الجديدة. وهذه التصورات تتسم بأنها تتفق على رفض الحتمية الميكانيكية، ولكنها لا تتفق على النموذج العلمي البديل. لذلك لفظ «التصورات العلمية» أكثر دقة من «العلم»، ولكن تسهياً للقراءة سوف نستخدم في أغلب المواضع في هذا الكتاب تعبير «العلم المعاصر»، لأنه تعبير محايد، كاختصار لمعنى التصورات العلمية المعاصرة أو الجديدة، كلما كان ذلك ملائماً لتبسيط التعبير عند معالجة القضايا التي تتسم بالتعقيد.

فالتأسيس العلمي للحضارة الأوروبية الحديثة قد تم في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، حيث تم تأسيس العلم الحديث في الفكر الأوروبي الوسيط في ذلك الوقت. ولعملية التأسيس العلمي شروط لا بد من تحقيقها حتى تنجح عملية التأسيس، وهذه الشروط يمكن استخلاصها من أدبيات تاريخ العلم ومراجعة الكيفية التي تمت بها هذه العملية في أواخر العصر الوسيط، وأوائل عصر النهضة الأوروبية.

فإذا قمنا باستخلاص هذه الشروط من التجربة الأوروبية، باعتبارها تجربة إنسانية، سوف يكون من الممكن أن نبحت عملية التأسيس العلمي في مجتمعاتنا العربية المعاصرة على أساس صحيح، وأن نحدد عوامل النقص التي أدت إلى فشل عملية التحول إلى العلمية عبر حوالي قرن ونصف من محاولات النهضة والتحديث؛ كما يمكن أن نحدد الشروط الصحيحة اللازم تحقيقها حتى تنجح محاولاتنا الراهنة لتحقيق نفس الهدف.

ولذلك مفهومنا للعلم الذي نطمح لتأسيسه في مجتمعاتنا العربية هو الفكر العلمي المعاصر (أو التصورات العلمية الجديدة)، الذي يمثل مستوى أكثر شمولاً وتعقيداً من العلم الحديث. وفي هذا العمل نطرح تصورنا للجانب الثاني من القضية، وهو طبيعة النظرة إلى العالم التي يمتلكها الفرد وتمتلكها المجتمعات العربية وطبيعة الجانب المعرفي فيها وتأسيس علاقتها بالعلم في مفهومه المعاصر^(٢).

ورغم أن القضية واضحة، وهي التأسيس العلمي للنهضة العربية، إلا أن البعض يخطئ في فهم الموضوع ظاناً أن الحديث هو عن «العلم» بالمعنى التقني أو التخصصي؛ وهذا خطأ ناجم عن النظرة الميكانيكية السائدة حالياً التي تعتمد النظرة التجزيئية الرديئة. ولكن الحقيقة هي أن النظرة العلمية هي جزء من النظرة

(٢) في بحث حديث له يطرح رشدي راشد نفس القضية المطروحة هنا تحت عنوان مختلف هو «توطين العلم في الوطن العربي»، وبصورة تقترب من تصورنا، وهو وجود سمات مميزة للعلم العربي. ولكنه يطرحها أولاً في إطار فكرة التقدم الخطي الحدائي، وليس في إطار تطور النظرات إلى العالم، وعلى مستوى مختلف هو مستوى علم اجتماع المعرفة، أي العلاقة بين الظروف المجتمعية وظهور وتقدم العلم، وهي تصورات سنناقشها تفصيلاً في موضعها المناسب. ونحن نستخدم عنوان «التأسيس العلمي» لأننا نعالج ذات القضية، ولكن من الزاوية المعرفية الإبيستيمولوجية؛ فالتأسيس هو مفهوم معرفي، أما التوطين فهو مفهوم اجتماعي - معرفي. انظر: رشدي راشد، «الوطن العربي وتوطين العلم»، المستقبل العربي، السنة ٣١، العدد ٣٥٤ (آب/ أغسطس ٢٠٠٨)، ص ٦ - ٢٥.

الحضارية للمجتمع؛ وبالتالي هي جزء أساسي، إن لم يكن الجزء الأساسي، في فكر النهضة.

وترتب على ذلك أن نظر البعض إلى قضية التأسيس العلمي باعتبارها قضية تتعارض مع الاعتماد على الفكر الديني الصحيح والفكر العقلي الفلسفي الصحيح، كنتيجة لنفس النظرة التجزيئية السائدة. والحقيقة أيضاً هي أن طرحنا لقضية التأسيس العلمي هو في إطار علاقة الاتساق الصحيحة بينه وبين كل من الفكر الديني والفلسفي العربي المعاصر؛ فليس التأسيس العلمي في المجتمعات العربية بديلاً من، مثلاً، قضية التجديد الديني أو قضية تحقيق الاستقلال الفلسفي في هذه المجتمعات.

إضافة إلى ذلك ينظر البعض إلى الموضوع باعتباره مطروحاً في إطار خصوصيات الفكر العربي الإسلامي المعزول عن الفكر الإنساني، وهذا أيضاً خطأ؛ فالقضية موضوع المؤلف مطروحة هنا باعتبارها قضية إنسانية عامة تهم الإنسان بما هو إنسان، ولا تمثل معالجة الموضوع هنا سوى محاولة لتطبيق القواعد الإنسانية العامة التي نصل إليها بخصوص العلاقة بين العلم والنظرة إلى العالم على الحالة الخاصة التي نعالجها وهي الفكر العربي المعاصر؛ ولذلك، فالمبادئ التي نصل إليها هنا هي مبادئ عامة تقبل التطبيق على كل فكر إنساني في أي مرحلة من مراحلها.

ولسوف يتبين ذلك بشكل واضح تماماً من خلال التحليلات التي نقدمها في هذا العمل.